

Constructional collection theory: A critical theoretical perspective for the duality of construction and action

Fadiyah Abdullah Alkhalifah

King Saud University || KSA

Abstract: This paper sought to identify why Antony Gednaz formulated the theory of constructional collection and the relationship with major theories (structural-functional, Marxism) and minor theories (symbolic interactive) through contrasting and comparing them as well as the comparison between the concept of social symmetry in the verb theory by Parsons and the constructional collection by Gednaz. The paper tried to identify the most important concepts and principles of the constructional collection theory, through a review of the literature in the books of social theories. The paper also included the critical vision of the (female) researcher about the constructional collection theory.

The paper concluded that (Antony Gednaz) formulated the constructional collection theory to fill the outstanding gap between structure and action in both major and minor theories and that Gednaz opposes the idea of studying societies based on construction in major theories, and the idea of relying on the action as a unit of study societies in minor theories. He believes that the principal area to study societies is the social practices regulated through time and place. For a social system, Parsons views the system as a group of individual actors, ignoring spatial and temporal conditions that may affect the actions of individuals, while Gednaz sees the system as the sum of acts that are reproduced among the actors in a given place and time. The concept of the constructional collection is the main concept in the collection theory, which means that the collection of actors and buildings are not independent phenomena (i.e. dual), but they represent duplication. In the critical review of the (female) researcher is taken on the central idea of the constructional collection theory that it is not possible to generalize the possibility of reproducing construction. The generalization may be become possible in case replacing the idea of "reproducing construction" by the idea of "modifying construction or parts of construction" or determining what kind of buildings can be reproduced or not. The (female) researcher fully agrees with the idea that the verb produces the structure and after it forms the structure, the structure becomes an intermediary.

Keywords: Theory – Constructional Collection - Duality of Construction and action - Society.

نظرية التشكيل البنائي: ثنائية البناء والفعل

– رؤية نظرية نقدية –

فاديه بنت عبد الله الخليفة

جامعة الملك سعود || المملكة العربية السعودية

الملخص: سعت هذه الورقة إلى التعرف على سبب صياغة (Antony gednaz) "انتوني جيدنز" لنظرية التشكيل البنائي والعلاقة مع النظريات الكبرى (البنائية الوظيفية، والماركسية) والنظريات الصغرى (التفاعلية الرمزية) وذلك من خلال عقد مقارنة ومقارنة بينهم، والمقارنة بين مفهوم النسق الاجتماعي في نظرية الفعل لبارسونز ونظرية التشكيل البنائي لدى جيدنز، والتعرف على أهم مفاهيم ومرتكزات نظرية التشكيل البنائي، وذلك من خلال استعراض التراث العلمي في كتب النظريات الاجتماعية، كما تضمنت الورقة على

الرؤية النقدية للباحثة حول نظرية التشكيل البنائي، وقد خلصت الورقة إلى أن أنتوني جيدنز (Antony gednaz) صاغ نظرية التشكيل البنائي لسد الثغرة البارزة بين البنية والفعل لدى كلاً من النظريات الكبرى والصغرى، وأن جيدنز يُعارض فكرة دراسة المجتمعات بالاعتماد على البناء لدى النظريات الكبرى، وفكرة الاعتماد على الفعل كوحدة لدراسة المجتمعات لدى النظريات الصغرى، ويرى أن المجال الرئيس لدراسة المجتمعات هو الممارسات الاجتماعية المنتظمة عبر الزمان والمكان، وفيما يتعلق بالنسق الاجتماعي فإن بارسونز ينظر إلى النسق أنه مجموعة من الأفراد الفاعلين متجاهلاً الظروف المكانية والزمانية التي قد تؤثر على أفعال الأفراد، بينما جيدنز ينظر للنسق بأنه مجموع الأفعال التي يُعاد إنتاجها بين الفاعلين في مكان وزمان معين، ومفهوم التشكيل البنائي هو المفهوم الرئيس في نظرية التشكيل الذي يعني أن تشكيل الفاعلين والأبنية ليستا ظاهرتين مستقلتين (أي ثنائية)، ولكنهما تمثلان ازدواجية، وفي الرؤية النقدية للباحثة فيؤخذ على الفكرة المحورية لنظرية التشكيل أنه لا يمكن تعميم إمكانية إعادة إنتاج البناء، وقد يجعل التعميم ممكناً في حال استبدال فكرة "إعادة إنتاج البناء" بفكرة "تعديل البناء أو أجزاء من البناء" أو تحديد نوع الأبنية التي يمكن إعادة إنتاجها من عدمه، وتتفق الباحثة تماماً مع فكرة أن الفعل يُنتج البنية وبعد تشكل البنية تُصبح البنية وسيطاً.

الكلمات المفتاحية: نظرية - التشكيل البنائي - ثنائية البناء والفعل - المجتمع.

المقدمة

انتقد جيدنز النظريات الاجتماعية القائمة على مستوى التحليل الكلي (الكبرى) ومستوى التحليل الجزئي (الصغرى).

فعلى المستوى الكلي أخذ جيدنز على النظرية الوظيفية البنائية والماركسية والبنوية اغفالهم وتجاهلهم لدور الفعل الإنساني الذي اعتبروه مسوقاً ومُسيراً، كما أخذ على تلك النظريتين تشديدهما على البناء. وعلى المستوى الجزئي المصغر أخذ جيدنز على النظرية التفاعلية الرمزية حصر الفعل الإنساني في الأفراد والجماعات، وتنامي التفاعلية إلى أن الفعل الاجتماعي المبني الواضح المعالم يتمتع باستقرار وديمومة نسبيين، كما أنه له امتداداً في الزمان والمكان على حد سواء، كما أخذ عليها تشديدها على الفعل.

ونظراً للخلاف القائم في وحدة التحليل بين النظرية البنائية الوظيفية والماركسية والتفاعلية الرمزية صاغ جيدنز نظرية التشكيل البنائي لردم الهوة بين وحدات التحليل لتلك النظريات، حيث أنه يرى ضرورة التكامل بين البناء والفعل معاً وعدم الفصل بينهما في فهم ودراسة المجتمع.

ويُشير "جيدنز" في نظريته التشكيل البنائي "ثنائية البنية" إلى: ثنائية البناء والفعل، وتعني أن المجتمعات البشرية قائمة على الفعل والبناء، بمعنى أن الفرد الذي يقوم بسلوكيات وممارسات وغيرها من تفاعلات سواءً داخلية أو خارجية، هو الذي يخلق بناء المجتمع، وذلك البناء بعد تمامه يصير إطاراً محدداً لفعل أفراد المجتمع، كما في المقاربة الدوراكيمية التي لم تجعل من الفرد عنصراً قادراً على الفعل والتأثير إلا في إطار المجتمع المعقد حيث يسود التضامن العضوي (عودة، 2012: 6).

ستتناول الباحثة في هذه الورقة نظرية التشكيل البنائي لدى عالم الاجتماع البريطاني أنتوني جيدنز، تلك النظرية التي حاول فيها ردم الهوة بين النماذج التحليلية الكبرى والصغرى في دراستها للمجتمع وتشديدها سواءً على البناء أو الفعل في التحليل، وستعقد مقارنة بين تلك النظريات الفلسفية ونظرية التشكيل البنائي لجيدنز، كما سيتم مناقشة مفاهيم ومرتكزات نظرية التشكيل البنائي وتطبيقها على واقع المجتمع، وأخيراً سنناقش الباحثة الرؤية النقدية لتلك النظرية، حيث يتمثل الهدف المحوري في تلك الورقة مناقشة وعرض الرؤية النقدية للفكرة المحورية لدى "انتوني جيدنز" التي مؤداها أن "البناء يُعاد إنتاجه، وهو يوفر في نفس الوقت الظروف التي تجعل إعادة الإنتاج ممكناً".

مشكلة الدراسة:

يمكن تحديد مشكلة الدراسة في الأسئلة الآتية:

1. ما سبب صياغة انتوني جيدنز لنظرية التشكيل البنائي من خلال المقارنة مع النظرية البنائية الوظيفية، والنظرية الماركسية، والنظرية التفاعلية الرمزية؟.
2. ما أوجه الاتفاق والاختلاف في مفهوم النسق الاجتماعي بين نظرية الفعل لبارسونز ونظرية التشكيل البنائي لدى جيدنز؟.
3. ما أبرز مفاهيم ومرتكزات نظرية التشكيل البنائي؟.
4. ما مدى تكوين رؤية نقدية حول نظرية التشكيل البنائي؟.

أهداف الدراسة:

1. التعرف على سبب صياغة انتوني جيدنز لنظرية التشكيل البنائي من خلال المقارنة مع النظرية البنائية الوظيفية، والنظرية الماركسية، والنظرية التفاعلية الرمزية.
2. مقارنة مفهوم النسق الاجتماعي بين نظرية الفعل لبارسونز ونظرية التشكيل البنائي لدى جيدنز.
3. التعرف على مفاهيم ومرتكزات نظرية التشكيل البنائي.
4. تكوين رؤية نقدية حول نظرية التشكيل البنائي.

أهمية الدراسة:

- الأهمية العلمية:

تكمن أهمية تلك الورقة العلمية في كونها تُناقش نظريًا ونقديًا نظرية التشكيل البنائي، وهي أحد النظريات الحديثة في علم الاجتماع التي بُنيت لسد الثغرة بين نظريات علم الاجتماع التقليدية، كما أنه قد تكون إضافة علمية جديدة للتراث العلمي في مكتبة الأبحاث العربية، ونقطة انطلاق مميزة للباحثين في مجال التخصص.

- الأهمية العملية:

تظهر الأهمية العملية في أن الدراسة تستخدم المنهج النظري النقدي في الطرح لنقد نظرية التشكيل البنائي من خلال الربط بواقع المجتمع السعودي والأسرة السعودية، وقد تكون نموذجًا عمليًا يُوضح للمُختصين والطلاب بعضًا من جوانب النقد التي تُسهم في توليد أفكار بحثية جديدة لدى الباحثين.

2- الإطار النظري والدراسات السابقة

أولاً- الإطار النظري:

تناول العديد من الكتاب وعلماء الاجتماع نظرية التشكيل البنائي من مختلف الجوانب، إلا أن تناول تلك النظرية من الناحية النقدية يتسم بالندرة حيث أن الدراسة الحالية تُعد أحد الدراسات النظرية التحليلية النقدية، التي تهدف إلى التعرف على سبب صياغة انتوني جيدنز لنظرية التشكيل البنائي من خلال تحليل النظريات التقليدية الكبرى والصغرى ومقارنتها بنظرية التشكيل، كما تهدف إلى تقديم رؤية نقدية حول نظرية التشكيل البنائي، لذلك هناك عدد قليل من الدراسات التي تهتم بهذا الجانب، إلا أن الباحثة تمكنت من الحصول على دراسة أجراها عودة (2012) بعنوان "نظرية التشكيل البنائي عند جيدنز رفض الرؤية الأحادية للتفسير"، هدف فيها إلى تفسير النظرية البنائية لجيدنز، وربطها بالماكروسوسولوجية (النظريات الفردية Individualism)، والنظريات الكلية (Holism).

واستخدم الباحث المنهج التحليلي لتحقيق أهداف دراسته، وكشف الباحث عن عدد من النتائج، أهمها: أن تحليل الممارسة الاجتماعية يفترض مسبقاً وجود النسق الذي يخلق تلك الممارسة. وتتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في اهتمامها بتحليل نظرية التشكيل البنائي، وتختلف في كون أن الدراسة الحالية تهدف إلى تحليل ونقد نظرية التشكيل من خلال المقارنة مع النظريات التقليدية، والتطبيق على واقع المجتمع السعودي.

المبحث الأول- الاختلاف بين نظرية التشكيل البنائي، والنظرية البنائية الوظيفية، ونظرية التفاعلية الرمزية، والنظرية الماركسية في البناء ووحدة التحليل:

النظرية الوظيفية تعتبر البناء هو وحدة التحليل لدراسة المجتمع، حيث تنظر إلى البناء بأنه مجموعة العلاقات الاجتماعية المتباينة التي تتكامل وتتسق من خلال الأدوار الاجتماعية. فثمة مجموعة أجزاء مرتبة متسقة تدخل في تشكيل الكل الاجتماعي، وتتحدد بالأشخاص والزمرة والجماعات وما ينتج عنها من علاقات، وفقاً لأدوارها الاجتماعية التي يرسمها لها الكل وهو البناء الاجتماعي (عبد المعطي، 1981: 104).

أي أن البناء يتكون من خلال الأفعال الاجتماعية، تلك الأفعال التي يرسمها البناء. وتتفق الماركسية مع البنائية الوظيفية من ناحية وحدة التحليل فإن الماركسية تعتمد على البناء كوحدة للتحليل حيث افترض كارل ماركس في أعماله أن البناء لا ينبغي خلطه مع العلاقات المنظورة، كما أن الماركسيون اهتموا بدراسة البناء كمطلب ضروري لدراسة التاريخ، ويتفق الماركسيون مع البنيويون بأنه ينبغي الاهتمام بالأبنية أو الأنساق التي تشكلت نتيجة لتفاعل العلاقات الاجتماعية.

بينما النظرية التفاعلية الرمزية التي تعني التفاعل الذي ينشأ بين مختلف العقول والمعاني، والذي يعد سمة مميزة للمجتمع الإنساني، نجدها تبدأ بالأفراد وسلوكهم كمدخل لفهم النسق الاجتماعي، فأفعال الأفراد تصبح ثابتة لتشكيل بنية من الأدوار.

ويمكن النظر إلى هذه الأدوار من حيث توقعات البشر بعضهم اتجاه بعض من حيث المعاني والرموز وهنا يصبح التركيز إما على بنى الأدوار والأنساق الاجتماعية أو على سلوك الدور والفعل الاجتماعي.

يتضح هنا من عرض النظرية التفاعلية الرمزية بأنها تقصر التركيز على جانب واحد فقط فهي ترى إما التركيز على البناء وبذلك تكون أهملت الفعل أو التركيز على الفعل وبذلك أهملت البناء، أي الفصل بين البناء والفعل في التحليل.

وجيدنز يرفض تماماً فكرة البنائية الوظيفية والماركسية في فهم ودراسة المجتمع حيث أنها تركز على البناء وتغفل الفعل إلا أن جيدنز قريب جداً من تلك الفكرة بالتركيز على البناء، أكثر من قربه من التفاعلية الرمزية التي يرفض فكرتها أيضاً من حيث أحادية التحليل سواءً بالتركيز على البناء وإغفال الفعل أو التركيز على الفعل وإغفال البناء.

ويتضح ذلك من خلال مفهوم البناء في نظرية التشكيل البنائي لدى "جيدنز"، وفي رؤيته عن تحليل المجتمعات، حيث أنه يرى أن الهدف الأول من التحليل في علم الاجتماع هو التفسير التأويلي، والتعبير عن صور الحياة وصفاً وتحليلاً بلغة العلوم الاجتماعية، وتفسير بناء وإعادة بناء المجتمع كنتيجة للنشاط الإنساني.

ويشير "جيدنز" أن المجال الرئيس للدراسة في العلوم الاجتماعية ليست هي خبرة الفاعل الفرد، وليس هو وجود أي شكل من أشكال الوحدة المجتمعية الكاملة، وإنما الممارسات الاجتماعية المنتظمة عبر الزمان والمكان (عبد الجواد، 2009: 366).

كما تتمثل النقطة الأساسية لدى "جيدنز" في أن الفاعلين يعيدون عبر أفعالهم خلق الممارسات الاجتماعية (والمؤسسات) التي تقيد بالمقابل تلك الأفعال، وربما يعدلون عليها أو يغيرونها (والاس، 2011: 302).

والبناء في نظرية التشكيل البنائي هو الخصائص البنائية (القواعد والموارد) التي تسمح بعقد الصلة بين الزمان والمكان في إطار النسق الاجتماعي، وهي خصائص تجعل من الممكن للممارسات الاجتماعية الملاحظة، والتي يمكن تمييزها بصعوبة نظراً لشدة تشابهها، أن توجد عبر مجالات زمانية ومكانية مختلفة وتضفي عليها شكلاً منتظماً، والبناء دائماً ما يُعيق الفرد عن تحقيق ما يُريده من ناحية، ويُمكنه من تحقيق ما يُريده من ناحية أخرى (الغريب، 2012: 483).

وبالعودة لما ذكرناه بدايةً فيما يتعلق بمفهوم البناء لدى كلاً من النظرية البنائية الوظيفية، والنظرية التفاعلية الرمزية، والنظرية الماركسية، نجد أن البناء لدى النظرية البنائية الوظيفية يُحدّد الأفعال التي يفعلها الفرد، والبناء لدى جيدنز في نظرية التشكيل البنائي أيضاً يُحدّد الفعل للفرد حيث أنه دائماً ما يُعيق الفرد عن تحقيق ما يُريده من ناحية، ويُمكنه من تحقيق ما يُريده من ناحية أخرى.

أذاً من وجهة نظر الباحثة أن "جيدنز" في تحديده لمفهوم البناء يقترب من النظرية البنائية الوظيفية، ويُعارض النظرية التفاعلية الرمزية.

وبعد عرض مفهوم البناء ووحدة التحليل لدى كلاً من النظريات السابقة ومقارنتها بمفهوم البناء في نظرية التشكيل البنائي، سنذكر في المبحث القادم مفهوم النسق بين جيدنز ونظرية الفعل الاجتماعي لبارسونز.

المبحث الثاني- النسق بين جيدنز ونظرية الفعل الاجتماعي لبارسونز:

النسق الاجتماعي في نظرية الفعل الاجتماعي لبارسونز تنص على أن النسق الاجتماعي يتألف من جمع من الفاعلين الأفراد اللذين يتفاعلون مع بعضهم في موقف يتضمن على الأقل جانباً فيزيقياً أو بيئياً، وفاعلين مدفوعين بموجب الميل إلى تحقيق أقصى حد ممكن من الاشباع، واللذين تخلل علاقتهم بموقفهم وتعريفهم له رموز مشتركة مبنية ثقافياً (عثمان، 2008: 53).

بينما النسق لدى انتوني هو الممارسات الاجتماعية التي يُعاد إنتاجها أو "هو العلاقات التي يُعاد إنتاجها بين الفاعلين الأفراد والجماعات"، والقائمة في النطاق الزماني والمكاني، والانساق الاجتماعية ليس لها أبنية، ولكنها تتصف بخصائص بنائية، ويتجلى البناء في الأنساق الاجتماعي "في الممارسات التي يُعاد إنتاجها ويطوقها الزمان والمكان (عبد الجواد، 2000: 367).

أذاً يكمن الاختلاف في مفهوم النسق بين بارسونز وجيدنز أن بارسونز ينظر إلى النسق مجموعة من الأفراد الفاعلين متجاهلاً الظروف المكانية والزمانية التي قد تؤثر على أفعال الأفراد، بينما جيدنز ينظر للنسق بأنه مجموع الأفعال التي يُعاد إنتاجها بين الفاعلين في مكان وزمان معين، تلك الأفعال التي يظهر البناء فيها.

تم في هذا الجزء عرض مبسط ومختصر للفرق بين مفهوم النسق لدى "جيدنز" ونظرية الفعل الاجتماعي لبارسونز، وسنتقل في الجزء التالي لعرض ومناقشة نظرية التشكيل البنائي بشيء من التفصيل.

المبحث الثالث- مفاهيم ومرتكزات نظرية التشكيل البنائي:

سنناقش في هذا الجزء مفاهيم نظرية التشكيل البنائي ومرتكزاتها التي سعى من خلالها إلى التكامل بين البناء والفعل في دراسة المجتمعات، مع ذكر بعض الأمثلة للتوضيح.

أولاً- مفاهيم نظرية التشكيل البنائي:

• مفهوم التشكيل البنائي:

يُعد مفهوم التشكيل المفهوم الرئيسي في النظرية ويعني أن تشكيل الفاعلين والأبنية ليستا ظاهرتين مستقلتين (أي ثنائية)، ولكنهما تمثلان ازدواجية. (الغريب، 2011: 484).

التشكيل البنائي "ثنائية البناء" = البناء + الفعل.

• مفهوم البنية الاجتماعية:

تشير البنية الاجتماعية الى بناء الخصائص التي تجعل من الممكن بالنسبة للممارسات الاجتماعية المتشابهة بشكل واضح أن توجد عبر امتدادات متنوعة من الزمان والمكان والتي تضيء عليها شكلاً نظامياً.

وتتألف البنية من القواعد المتضمنة بشكل يُعاد تخطيطه وكتابته في إعادة إنتاج الأساق الاجتماعية.

أي القواعد التي تتم فصل في التفاعل الاجتماعي، وتُخبر الناس كيف يصنعون الحياة الاجتماعية، ويصنعون المصادر التي يستطيع الناس أن يستحضرونها لتحقيق غاياتهم (والاس، 2011: 306).

وهي خصائص تجعل من الممكن للممارسات الاجتماعية الملاحظة، والبناء دائماً ما يُعيق الفرد عن تحقيق

ما يُريده من ناحية، ويُمكنه من تحقيق ما يُريده من ناحية أخرى (عبد الجواد، 2009: 368).

وتتفق الباحثة مع "جيدنز" في أن البنية الاجتماعية تُساهم في بناء خصائص لأفعال الأفراد وتُميز كل فعل عن الآخر فمثلاً في البناء الاقتصادي فعل الفرد المُتمثل في دفع المال لشخص آخر هذا يعني أن الفرد الذي دفع المال مُشترى من الشخص الآخر، خاصية دفع المال وهذه الخاصية مميزة ومعروفة لفعل الشراء كما أنها قاعدة في البناء الاقتصادي عندما ترغب في الشراء ادفع المال وهذه الخاصية تكونت من خلال تفاعل الأفراد في البناء الاقتصادي وقيمة الشراء (قيمة المال المدفوعة) تختلف لعدة أسباب منها نوع السلعة والعملية وغيرها من الأسباب، فُيمكنك الشراء بشرط دفع المال ويُمنع عليك مثلاً من الحصول على السلعة بدون دفع المال، وتقوم قواعد البناء الاقتصادي بدور الضابط لأفعال الأفراد التي تُجرى في وسطه.

وبالمُماثلة مع اللُغة لتقريب معنى البنية إلى الأذهان فإن الأبنية-مثل اللُغات- «مُفترضة»، طالما أنها توجد

«خارج الزمان والمكان»، ويُعاد إنتاجها في الممارسات بطريقة غير مقصودة.

ومن خلال البناء مع اللُغة، يأمل جيدنز في تقديم ربط فاعل بين الكلام أو الفعل الذي يقوم به العامل

والبناء الذي يشكل حالة القدرة على توليد هذا الكلام والفعل.

• ولهذا تأثيران:

الأول: هناك ما يشير إليه جيدنز باعتباره «ثنائية البناء»، لا يستمر فهم البناء من خلالها بوصفه مُجرد قيد،

لكنه مُساعد أيضاً، لا يقتصر البناء على تقييد الفعل فقط من خلال قواعد «البنية»، لكنه قد يُولد الفعل نفسه، وفي اعتقادي تُمثل فكرة ثنائية البناء بأن البناء من خلال قواعدهُ يُمثل دور الضابط للفعل.

الثاني: أن البناء وسيط وناتج من الفعل معاً (سكوت، 2009: 228).

وتؤيد الباحثة فكرة أن البناء وسيط وناتج من الفعل معاً، فمثلاً البناء التعليمي أُنتج من خلال فعل المُعلم

وفعل الطالب ومن خلال توفير مبنى تعليمي وتوفير مُتطلبات واحتياجات التعليم، وبعد إنتاج البناء التعليمي بفعل

المُعلم المُتمثل في شرح المواد العلمية وفي فعل الطالب المُتمثل في تلقي المعلومات وأداء الواجبات من مُعلم المادة

يُصبح البناء التعليمي وسيط وبيئة تُمارس فيه عملية التدريس من قبل المُعلم وعملية تلقي المعلومات وإجراء

الواجبات والتكاليف من قبل الطالب، إذاً البناء التعليمي أُنتج بواسطة فعل المُعلم والطالب وأصبح بيئة ووسط

للتفاعل بين المُعلم والطالب.

• مفهوم النسق:

هو الممارسات الاجتماعية التي يُعاد إنتاجها أو هو العلاقات التي يُعاد إنتاجها بين الفاعلين الأفراد والجماعات، والقائمة في النطاق الزمني والمكاني. والانساق الاجتماعية ليس لها أبنية، ولكنها تتصف بخصائص بنائية، ويتجلى البناء في الأنساق الاجتماعية "في الممارسات التي يعاد إنتاجها ويطوقها الزمان والمكان" (عبد الجواد، 2000: 367). وَقَدْ تمَّ إيضاح مُصطلح النسق سابقاً حين تمَّ إيضاح اختلاف المُصطلح مع بارسونز. ومن الواضح أن جيندز يتفق مع التفاعلية الرمزية من حيث أن النسق هو مجموعة من الأفعال والممارسات الأفراد.

ولكن يختلف جيندز من جانب آخر مع التفاعلية الرمزية كون أن التفاعلية الرمزية تنظر للنسق بأنه مجموعة من الأفعال التي تُكوّن البناء، بينما جيندز يرى أن النسق ليس له أبنية ولكن له صفات بنائية ويظهر البناء في الأفعال التي يُعاد إنتاجها.

• المؤسسات:

تعني المؤسسات انتظام القواعد أو البنى في الزمان والمكان. ويستخدم "جيندز" مفهوم المؤسسة هنا ليس بمعنى الهيئات المنظمة، كالكنيسة أو الجامعة، بل ذلك المعنى الذي يكون فيه الزواج مؤسسة للأفعال البشرية، أي الممارسة الضاربة في عمق التاريخ والمكان (الغريب، 2012: 483). تبادر إلى ذهني استفهام عن كيف يكون انتظام البنى في الزمان والمكان؟، وفي تصوري أن هناك بناءات مختلفة تنتظم مع بعضها البعض لتكوّن بناءات أخرى وتكوّن مؤسسات أيضاً من خلال أفعال الأفراد، فمثلاً الزواج كمؤسسة كيف أصبح مؤسسة؟

من خلال فعل الزواج رجل (ينتمي إلى بناء أسري) بامرأة (تنتمي إلى بناء أسري مختلف) رغبةً في تكوين أسرة (بناء أسري) ورغبةً في إنجاب أطفال، فبذلك أصبح الزواج مؤسسة للأفعال من خلال انتظام بناءات أسرية مختلفة لتكوين بناء أسري مختلف وتكونت مؤسسة الزواج من خلال أفعال الزوجين التي تتمثل في المسؤوليات والحقوق التي رسمتها أفعال الأفراد لمؤسسة الزواج، فأصبح الزواج مؤسسة لتلك الأفعال جميعها. وتقوم المؤسسات على الأفعال البشرية والممارسات الاجتماعية، ولا بد أن تتصف تلك الأفعال والممارسات بعدد من الخصائص التالية (كريب، 1978: 157):

1. قدرة الفاعل الظاهرة والباطنة على إدراك ما يقوم بعمله، بمعنى وعي الفرد بأفعاله.
 2. قدرة الفعل على التحويل أي تغيير العالم الخارجي والعلاقات الاجتماعية، ولذا فالفعل لا محالة ينطوي على القوة، وهذه السمة من سمات الفعل تقود إلى مسألة بنى الهيمنة على الشر التي تُفضي إلى ظهور المؤسسات السياسية، والهيمنة على الموارد التي تُفضي إلى ظهور المؤسسات الاقتصادية.
- يراودني في ذلك تساؤل، سبق وأن ذكر جيندز "أن الفعل قادر على إنتاج البناء وإعادة صياغة البناء". هل ذلك أيضاً ينطبق على البناءات المهيمنة؟ البناءات القوية؟ هل بالإمكان إعادة إنتاج البناءات والمؤسسات السياسية؟، هل بالإمكان إعادة إنتاج البنى الاقتصادية العالمية المهيمنة على اقتصاد العالم؟ في رأيي أن "جيندز" حينما ذكر "إعادة إنتاج البنى" واستخدم التعميم في إعادة إنتاج البنى مُخطأ، لأنه ليس بالإمكان إعادة إنتاج جميع البناءات خصوصاً البناءات التي تكونت بفعل القوة كالسياسية مثلاً، من الممكن الغاؤها وتبديلها ببناء آخر لكن لا يمكن إعادة إنتاجها ولا حتى التعديل عليها إلا بفعل أقوى من الفعل الذي أنتجها. فمن الأفضل "لجيندز" تحديد البناءات التي يُمكن إعادة إنتاجها وعدم التعميم في إعادة إنتاج البناء.

3. الفعل معياري بطبيعته: يشتمل الإحالة إلى قيم ظاهرة أو باطنة، وهذا يعني ضمناً وجود بني البشرية والمؤسسات القانونية، والانساق الاجتماعية تتحدد بواسطة مجموعات مختلفة من المؤسسات.

ثانياً- مرتكزات نظرية التشكيل البنائي:

ارتكز "جيدنز" في نظريته على عدد من المرتكزات وهي: التشكيل البنائي، العلاقة الثنائية بين البنية والفعل، علاقة النسق بالبناء، المجتمع، الفعل، الافراد الفاعلون، وسنذكرها بالتفصيل في التالي:

- التشكيل البنائي (سكوت، 2009: 229).
- يتضمن معنى التشكيل البنائي الثنائية البنائية، ويشير إلى أنماط الحياة الاجتماعية، ويعبر عن الاعتماد المتبادل بين الفاعل والبناء.
- الثنائية حسب مصطلح جيدنز هي في حقيقة الأمر شيء واحد وموضوع واحد للدراسة ذو وجهين.
- البناء والعامل بعدان متلازمان لتدفق الأنشطة التي يشارك من خلالها الأفراد في فترات حياتهم اليومية.
- يُمثل البناء والعامل في نظرية التشكيل وجهي العملة نفسها بالنسبة إلى جيدنز ويرتبطان من خلال الممارسات الاجتماعية، بخلاف التفاعلية الرمزية التي تُركز على البناء وتهمل الفعل أو تُركز على الفعل وتهمل البناء.
- العلاقة الثنائية بين البنية والفعل (الغريب، 2012: 483):

1. تتغلف البنية بالفعل ولا توجد إلا فيه ومن خلاله، وهو الذي يُنتجها ويُعيد إنتاجها. في هذه العلاقة بالتحديد أتفق مع جيدنز في جانب واختلف في جانب آخر، أتفق في أن الفعل هو الذي يُنتج البنية، ولكن لا أتفق في أن الفعل يعيد إنتاج جميع الأبنية، فبعض الأبنية بالإمكان إعادة إنتاجها والبعض الآخر لا يمكن إعادة إنتاجه، ولكن من الممكن أن يُحدث الفعل تغيرات وتعديلات على الأبنية التي لا يُمكن إعادة إنتاجها.
2. يتكون النظام الاجتماعي أو البنية بفعل نشاطنا اليومي المعتاد.

● خصائص البنية:

دُكر في كتاب كلاً من (جيدنز، 2005) (الغريب، 2012)، التالي:

1. يمكن النظر إلى البناءات الاجتماعية من حيث المبدأ في عملية تشكيلها كسلسلة من النشاطات النمطية.
2. البنية تُمثل سمة تحكم أو تُحدد الحياة المجتمعية، لكنها سمة تجعل الحياة مُمكنة، وبالمُماثلة مع اللغة فاللغة تُعيد ما نستطيع قوله، لكنها تُمكننا من قول شيء ما.
3. الأبنية تتكون من قواعد ومصادر، ويمكن أن تكون القواعد ثابتة أو تكتيكية، رسمية أو غير رسمية، أو خلاف ذلك.

لكن لا بد أن تكون مفهومة عامة باعتبارها - كما يرى ويتنشتاين- أشكالاً عملية من المعرفة التي «تسمح لنا بالمضي» في ظل ظروف جديدة.

في اعتقادي أن جميع البناءات الاجتماعية لها قواعد بمثابة قوانين معروفة ومفهومة من قبل الأفراد تتحكم في مسار أفعال الأفراد وتلك القواعد تتنوع بحسب "جيدنز" منها ما يكون قواعد رسمية كقوانين الدول مثلاً وقواعد غير رسمية كالعادات والتقاليد، فمثلاً قواعد البناء الديني في المجتمع السعودي قواعد ثابتة، وقواعد المجتمع المُتمثلة في العادات والتقاليد كعادة الزواج من الأقارب وغيرها تُعتبر قواعد غير رسمية، وجميع تلك القواعد تكون واضحة ومفهومة لجميع أفراد المجتمع السعودي.

4. البناء وسيط وناتج من الفعل معاً.

5. نحن الذين ننشط في صياغة البنية الاجتماعية وإعادة صياغتها في أن معاً من خلال التفكير والسلوك البشري.

6. من خلال ثنائية البناء فإنه لا يستمر فهم البناء من خلالها بوصفه مجرد قيد، لكنه مُساعد أيضاً.

7. لا يقتصر البناء على تقييد الفعل فقط، من خلال قواعد «البنية»، لكنه قد يُولد الفعل نفسه.

● علاقة النسق بالبناء:

- يقول جيدنز «أحد الافتراضات الرئيسية لنظرية التشكيل البنائي هي أن القواعد والموارد (البناء) المعتمدة على إنتاج وإعادة الفعل الاجتماعي هي في نفس الوقت وسائل إعادة النسق» (عبد الجواد، 2009: 368).
- وأرى أنه كون الفعل هو الذي يُنتج البناء والنسق فإن القواعد التي أنتجت الفعل وتُعيد إنتاج الفعل هي نفس القواعد التي يُعاد من خلالها إنتاج النسق.

● المجتمع:

- المجتمعات الإنسانية تبني وتشكل من جديد كل لحظة، كما في حالة البناء المعماري من جانب الطوب أو لبنات البناء التي شكلتها وكونتها قبل قليل، أي بعبارة أخرى من جانبنا نحن البشر (جيدنز، 2005: 703)
- أتفق تماماً في ذلك حيث أنه من الطبيعي أن يطرأ على البنى الاجتماعية تعديلات وتغييرات بصفة مستمرة من قبل أفعال الأفراد، وذلك بسبب التغيرات التي تشهدها مختلف المجتمعات خصوصاً في الوقت الحالي مع انتشار التكنولوجيا والانفتاح الثقافي ساهم في تغير ثقافة المجتمع وأفكار الأفراد وانعكس ذلك على أفعال الأفراد وبالتالي من الطبيعي أن ينعكس ذلك أيضاً على البناء الاجتماعي.

● الفعل (عبد الجواد، 2009: 367):

- يمثل الفعل الأشياء التي يقوم بها الفاعلون، ولا يتعلق الفعل بنوايا الفاعلين، ولكنه يتعلق بما يقوم به الفاعلين فعلاً.
- يفرق جيدنز هنا بين الفاعلين والنوايا أو المقاصد.
- الأفعال المقصودة قد تؤدي إلى نتائج غير مقصودة.
- في رأيي أغلب أفعال الأفراد مقصودة وذلك بناءً على ما ذكره "جيدنز" بأن الأفراد على وعي بما يفعلونه، وحين يحدد الفرد الهدف ويعمل لتحقيق ذلك الهدف فإنه بالتأكيد سيحقق هدفه، ولكن بفعل التأثيرات الخارجية على فعل الفرد أو بفعل التأثيرات الداخلية من الفرد نفسه كالعواطف مثلاً قد يؤثر على نتيجة الفعل وينجى إلى نتائج لم يكن يقصدها الفاعل.
- هناك علاقة بين الفعل والقوة، بمعنى أن الفاعل لديه القدرة على التأثير، وأن الفاعل يكف عن كونه فاعلاً إذا افتقد المقدرة على التأثير.
- لدى الفاعلين دوافع للفعل، وهذه الدوافع تحتوي على الرغبات التي تُحدث الفعل.

● الأفراد الفاعلون (عبد الجواد، 2009: 366):

- الظروف والمواقف الاجتماعية تحد من حرية الإنسان في اختيار أفعاله، لكنه ليس محكوماً حتماً بتلك الظروف والمواقف.
- في رأيي ليس فقط الظروف والمواقف الاجتماعية التي قد تحد من أفعال الأفراد ولكن أيضاً للبناء الاجتماعي بما يحويه من قواعد دور في الحد من حرية الأفراد في اختيار أفعالهم، والظروف الخارجية المتمثلة في قوانين الدولة، والأعراف الاجتماعية وغيرها، لها دور كبير في تقييد أفعال الأفراد.

- لا تظهر الأنشطة للوجود بواسطة الفاعلين الاجتماعيين، ولكنها تتجدد بواسطتهم من خلال الوسائل الفعلية التي يعبرون بها عن أنفسهم كفاعلين.
- يقوم الفاعلون الاجتماعيون في أنشطتهم ومن خلالها بإنتاج الظروف التي تجعل هذه الأنشطة محتملة الحدوث، أي نقطة البداية المعرفية «الأنطولوجية» ليست هي الوعي، أي التشكيل الاجتماعي للواقع، وليست هي البناء الاجتماعي، وإنما هي الجدل بين الأنشطة والظروف التي تحدث في الزمان والمكان (عبد الجواد، 2009: 366).
- أن الفاعلين الذين يراقبون أنشطتهم بصفة مستمرة بالإضافة إلى بيناتهم الطبيعية والاجتماعية، ويكونون قادرين أيضاً على الترشيد أو تطوير العمليات الروتينية التي يصبحون بموجها قادرين على الفهم المتواصل لأسباب أفعالهم (الغريب، 2012: 485).

الرؤية النقدية:

عند التمعن في الفكرة المحورية لدى جيدنز التي مؤداها أن "البناء يُعاد إنتاجه، وهو يوفر في نفس الوقت الظروف التي تجعل إعادة الإنتاج ممكناً"، ومن وجهة نظر الباحثة تحتمل تلك الفكرة عدة مآخذ:

أولاً: التعميم في إمكانية إعادة إنتاج البناء:

استخدام "جيدنز" للتعميم وقوله بإمكانية إعادة إنتاج البناء فهو قَصِد جميع الأبنية الاجتماعية بشكل عام دون تحديد نوع البناء الذي يُمكن إعادته، فأعتقد أنه كان مخطئاً، حيث لا يمكن إعادة إنتاج جميع البناءات الاجتماعية، ولكن من الممكن إجراء تعديلات وتغييرات عليها إذا استدعى الأمر، فمثلاً البناء الديني كما هو متعارف عليه في جميع المجتمعات بأنه دين سماوي محدد ولا يمكن إعادة إنتاج البناء الديني ولكن من الممكن تغييره أو بمعنى أصح استحداث أحكام شرعية أو فتاوي دينية تتناسب مع التغييرات التي يشهدها البناء الاجتماعي، ولكن عدم القدرة على إعادة إنتاج البناء لا يعني عدم قدرة الأفعال على إحداث بعض التغييرات والتعديلات على البناءات الاجتماعية، لذلك لا يمكن تعميم إمكانية إعادة إنتاج البناء.

ثانياً: التعميم في أن البناء يوفر الظروف التي تجعل إعادة إنتاج البناء ممكناً:

في حالة فرضنا أن البناء من الأبنية التي يمكن إعادة إنتاجها، فإن "جيدنز" في هذا الجانب ركز على الظروف التي يُوفرها البناء وتساعد في إعادة إنتاجه، وأهمل الظروف والمؤثرات الخارجية التي قد تؤثر على البناء وفعل الفرد الذي من خلاله يُعيد إنتاج البناء، ومن تلك المؤثرات البناءات الخارجية الأخرى التي قد تُساهم في التأثير على البناء أو قوانين الدولة والعادات والتقاليد المجتمعية والثقافة، وتأثير العوامل النفسية والعاطفية على أفعال الأفراد، أيضاً العواطف والمشاعر التي قد تؤثر على أفعال الأفراد التي من خلالها يُعيد إنتاج البناء، هذا في حالة فرضنا أن البناء من الأبنية التي يمكن إعادة إنتاجها، ولكن هذا لا يعني عدم قدرة البناء على توفير ظروف تجعل إعادة إنتاجه.

فكما ذكرنا سابقاً في البناء الديني مثلاً لا يُمكن أن يُنتج ظروفاً تساعد في إمكانية إعادة إنتاجه، ولكن تغييرات البناء الثقافي في المجتمع وتأثيره على البناء الديني ساهم في استحداث وتجديد بعض أجزاء من البناء الديني كالأحكام الشرعية والفتاوي وغيرها، وليس البناء الديني وفر الظروف التي جعلت إعادة استحداث أحكامه ممكنة.

وأيضاً الأسرة في المجتمع السعودي تأسست وبنيت على أن الأب يعمل خارج المنزل ويقع على عاتقه النفقة وتوفير المسكن والمأكل والدخل المادي لأفراد أسرته، بالمقابل مسؤولية الأم المكوث في المنزل ورعاية أفراد الأسرة،

ولكن بسبب الانفتاح الثقافي، والتغيرات الاقتصادية التي شهدتها المجتمع السعودي ساهم في إحداث تغيرات في بناء الأسرة وفي تغير مسؤوليات الأم فأصبحت الأم تعمل وتساعد الرجل في تحمل العبء المادي. كما أن نوع الأسرة فكان بناء الأسرة في المجتمع السعودي سابقاً أسرة ممتدة، ولكن الانفتاح الثقافي والتغيرات الاقتصادية والاحتكاك بالمجتمعات الأخرى ساهم في تغير وتحويل بناء الأسرة إلى الأسرة النووية، وهذا التغير في البناء الأسري يعتبر إعادة إنتاج للبناء الأسري في المجتمع السعودي حيث أن المجتمع السعودي أعاد إنتاج صياغة البناء الأسري، بسبب بعض التأثيرات الخارجية من الأبنية الأخرى، هنا أيضاً لم يُنتج البناء الأسري ظروفًا ساهمت في إعادة إنتاجه، ولكن تأثير البناء الثقافي وغيره من الأبنية في المجتمع السعودي على البناء الأسري ساهم في إعادة الإنتاج.

في رأيي يُفضل لو استبدل جيدنز كلمة "إعادة إنتاج البناء" بكلمة "تعديل البناء أو أجزاء من البناء" حتى يمكنه التعميم، أو أنه حدد نوع البناءات التي يُمكن إعادة إنتاجها. ثالثاً: الفعل يُنتج البنية وبعد تشكل البنية تُصبح البنية وسيطاً: أتفق تماماً مع رأي "جيدنز" في هذا الجانب، حيث أنه بعد تكوين البنية تُصبح بيئة ووسطاً يُمارس فيه الفعل، على سبيل المثال عند تكوين مؤسسة أو تكوين شركة من قبل فرد أو مجموعة من الأفراد فإن الموظفين يؤديون عملهم في داخل تلك المؤسسة أو الشركة ويُمارس المدير سلطته بفعل القوة والسيطرة والهيمنة على الموظفين "بني الهيمنة بفعل القوة التي تُعطي الفاعل القدرة على التأثير، والتي هي إحدى الأوجه المتفاعلة لتكوين البنية وإحدى خصائص الفعل".

4- ملخص النتائج

1. صاغ أنتوني جيدنز (Antony gednaz) نظرية التشكيل البنائي لسد الثغرة البارزة بين البنية والفعل لدى كلاً من النظريات الكبرى والصغرى.
2. يُعارض جيدنز فكرة دراسة المجتمعات بالاعتماد على البناء لدى النظريات الكبرى، وفكرة الاعتماد على الفعل كوحدة لدراسة المجتمعات لدى النظريات الصغرى، ويرى أن المجال الرئيس لدراسة المجتمعات هو الممارسات الاجتماعية المنتظمة عبر الزمان والمكان.
3. النسق الاجتماعي بالنسبة لنظرية التشكيل هو مجموع الأفعال التي يُعاد إنتاجها بين الفاعلين في مكان وزمان معين، بينما بارسونز ينظر للنسق على أنه مجموعة من الأفراد الفاعلين متجاهلاً الظروف المكانية والزمانية التي قد تؤثر على أفعال الأفراد.
4. مفهوم التشكيل البنائي هو المفهوم الرئيس في نظرية التشكيل الذي يعني ويعني أن تشكيل الفاعلين والأبنية ليستا ظاهرتين مستقلتين (أي ثنائية)، ولكنهما تمثلان ازدواجية.
5. يُؤخذ على الفكرة المحورية لنظرية التشكيل من وجهة نظر الباحثة أنه لا يمكن تعميم إمكانية إعادة إنتاج البناء، وقد يجعل التعميم ممكناً في حال استبدال فكرة "إعادة إنتاج البناء" بفكرة "تعديل البناء أو أجزاء من البناء" أو تحديد نوع الأبنية التي يمكن إعادة إنتاجها من عدمه، وتتفق الباحثة تماماً مع فكرة أن الفعل يُنتج البنية وبعد تشكل البنية تُصبح البنية وسيطاً.

قائمة المراجع:

- الجوهري، محمد (2002): قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، ترجمة مصطفى عبد الجواد، القاهرة: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية.
- جيدنز، أنتوني (2005): علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- سكوت، جون (2009): خمسون عالماً اجتماعياً أساسياً المنظرون المعاصرون، ترجمة محمود حلمي، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- عبد الجواد، مصطفى (2009): نظرية علم الاجتماع المعاصر، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
- عبد المعطي، عبد الباسط (1981): اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- عثمان، إبراهيم (2008): النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
- عودة، يحيى (2012)، نظرية التشكيل البنائي عند أنتوني جيدنز رفض الرؤية الأحادية للتفسير، العراق: مجلة آداب المستنصرية.
- الغريب، عبد العزيز (2012): نظريات علم الاجتماع، الرياض: دار الزهراء، الطبعة الأولى.
- كريب، إيان (1990): النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد غلوم ومحمد عصفور، الكويت: عالم المعرفة.
- والاس، روث (2011): النظرية علم الاجتماع، ترجمة محمد الحوراني، عمان: مجدلاوي للنشر والتوزيع.